قصةٌ وعِبرةٌ

(1)

لقد كان متسوّلًا صادقًا جدًا مع نفسه.

ذات يومً، دقَّ باب قصرٍ فاخر، فجاءه خادمٌ قال له: نعم يا سيدي .. ماذا تريد أيها الرجل الطيب؟. فردَّ المتسول: اعطني مما أعطاكم الله، محبةً لله. قال الخادم: من واجبي أن أنقل ذلك إلى سيدة المنزل. وذهب إليها يستشيرها، وكانت بحالة شديدة من التعاسة، فقالت له: يا "إرميا"، اعط هذا الرجل الطيب رغيف خبز. رغيفًا واحدًا فقط، ويستحسن أن يكون من أرغفة الأمس.

وكان "ارميا" يحبُّ سيدته سرًّاً، ولكي يرضيها، أتى برغيف خبز انتهت صلاحيته، صلبًا كصخرة، وناوله للمتسول، قائلًا: هذا لك يا رجل يا طيب. ولم يقل (يا سيدي). فأجاب المتسول: بارك الله فيكم.

وأغلق "ارميا" الباب البلوطي الضخم، ومضى المتسول لحال سبيله ورغيف الخبز تحت إبطه، حتى وصل إلى الأرض الفضاء التي يقضي فيها أيامه ولياليه، واستكان إلى ظل شجرة، وما إن بدأ يأكل الرغيف حتى وجد نفسه يعضُّ جسمًا صلبًا، وشعر بأحد أضراسه يتفتت. وكانت مفاجأة رائعة له عندما التقط مع فتات ضرسه خاتمًا رائعًا من الذهب واللؤلؤ والماس.

قال لنفسه: كم أنا محظوظٌ! .. سأبيع هذا الخاتم لتتوفر لي نقود تكفيني زمنًا طويلًا. إلا أن صدقه سرعان ما ظهر، فأضاف: لا .. سأبحث عن صاحب الخاتم وأُعيده إليه.

ووجد بالخاتم حرفين محفورين، يختصران اسمًا، هما (J.X.). وكان سريع البديهة، غير كسول، فانطلق إلى متجر، وطلب استخدام دليل الهاتف، ولم يجد فيه غير عائلة واحدة يبدأ اسمها بالحرف (X)، هي عائلة (زوفاينا).

(2)

عمَّتْه البهجة لأنه استطاع أن يضع صدقه على المحكِّ، وانطلق إلى منزل عائلة (زوفاينا)، وانتابته دهشة كبيرة لما وجده هو ذات المنزل الذي أعطاه رغيف الخبز المحتوي على الخاتم.

وطرق الباب، فأطلَّ "ارميا" وسأله: ماذا تريد يا رجل يا طيب؟. فأجاب المتسولُ: لقد عثرتُ على هذا الخاتم مدسوسًا في رغيف الخبز الذي تفضلتم به عليَّ منذ برهة.

أخذ الخادم الخاتم وقال: ليس عليَّ إلا أن آخذه وأعرض الأمر على سيدة المنزل. وعمَّتْ الفرحةُ السيدة حتى كادت تغنِّي، وهي تصيح: كم أنا محظوظة!. ها أنا ذا وأمامي الخاتمُ الذي كنت قد فقدتُه في الأسبوع الماضي وأنا أعدُّ العجين من أجل الخبز. وهذان الحرفان هما اختصار لإسمي الثنائي " أوسيرمينا زوفاينا".

وتفكَّرتْ هنيهةً، ثم أضافت: إذهب يا ارميا واعط لهذا الرجل الأمين ما يشاء، مكافأةً له، بشرط ألا يكون مكلفًا جدًا. فعاد الخادم إلى الباب وقال للمتسول: أيها الرجل الطيب، قل لي ماذا تريد، مكافأةً لك على ما قمت به من عمل لطيف. قال المتسول: رغيف خبز، لا أكثر، أُسكتُ به جوعي.

وكان " ارميا" لا يزال على حبه لسيدته، ولكي يرضيها، أتى برغيف خبز قديم، صلب كصخرة، وناوله للمتسول، قائلًا: هاك ما طلبتُ أيها الرجل الطيب. بارك الله فيك. وأغلق الباب البلوطي الضخم، بينما المتسول يمضي لحال سبيله، واضعًا رغيف الخبز تحت إبطه، حتى وصل إلى الأرض الفضاء التي يقضي فيها أيامه ولياليه، وجلس مستظلًا بشجرة، وبدأ يأكل رغيفه.

وفجأةً أحس بجسم صلب يصطكُّ بضرس آخر من ضروسه فيحطمه. وما أعظم ما كانت دهشتُه عندما التقط مع حطام ضرسه المكسور الثاني خاتمًا رائعًا آخر، مصنوعًا من الذهب واللؤلؤ والماس.

(3)

وما إن لاحظ، مرة أخرى، الحرفين المختصرين للاسم (X.J.)، حتى أعاد الخاتم إلى " أوسيرمينا زوفاينا"، حيث تلقى كمكافأة رغيفًا ثالثًا جافًا، عثر بداخله على خاتم ثالث قام بإعادته، وتقديرًا له حصل على مكافأة، هي رغيف رابع من الخبز الصلد، وجد به .....وقد عاش المتسول، منذ ذلك اليوم الميمون، وحتى يوم وفاته المشئوم، في سعادة، لا تواجهه ضائقات

مالية. وكل ما كان عليه أن يفعله هو أن يعيد الخاتم الذي يعثر عليه مدسوسًا في رغيف خبزه اليومي.